المحاضرة الرابعة عشر

آفاق مستقبلية لمعجم عربي معاصر ومقوماته

1. **تمهيد**: ظلت المعاجم العربية طيلة القرون السالفة ينقل متأخرها عن سابقها، حتى منتصف القرن العشرين للميلاد، على عظم الخدمات التي أدتها للعربية وطلابها، ومازالت تؤديها حتى الآن، إلا أنّها ظلت قاصرة عن متابعة التطور الكبير في مختلف العلوم العصرية، مما زاد العرب إحساسا بالحاجة إلى معجم عصري يلبي حاجاتهم العلمية والثقافية، كما هو الشأن في اللغات الأخرى، يتسع لمصطلحات العلوم وألفاظ الحضارة المعاصرة، بحيث يجمع بين التراث وما فيه من ثروة لغوية حوتها المعاجم القديمة ومصادر اللغة بالإضافة إلى إغناء هذا المعجم بما حوته علوم العصر وفنونه من مصطلحات، يصف الدكتور محمد علي عبد الكريم الرديني هذا المعجم قائلا: (وجوب إغناء المعجم العربي الحديث بطريق الإفادة من الثروة الطائلة التي تشتمل عليها المعجمات القديمة وكتب اللغة العديدة، استنادا إلى خصائص العربية ومرونتها إلى حد يمكن معه أن تستوعب كل جديد، تدعو إليه ضرورة أو مصلحة، أو ما يتطلبه علم أو فن، ولا ضير على العربية من أن يحوي معجمها الجديد، أي لفظ مولد أو معرب أو دخيل لا غنى للعربية عنه بغيره(1)؛ على أن يجري اشتقاق المولّد وفق القواعد القياسية، وأن يكون لفظ المعرب لا يخالف النطق بالفصيح من الكلمات، على أن نشير بجانب كل كلمة أو مصطلح جديد كل صفته اللغوية مولدا كان أو معربا أو دخيلا، قديما في صفته هذه أو حديثا، وبذلك نجدد معجمنا ونردّ الحياة إلى لغتنا، ونترك للأجيال من بعدنا وثيقة جهودنا ودليل حبنا واعتزازنا بلغتنا، لغة دين خالد، ولغة حضارة صاعدة، ولغة علوم متطورة)(2).

2. لقد نادى كثير العلماء المعاصرين بضرورة العمل من أجل إيجاد المعجم المطلوب، رأى بعضهم بوجوب إعادة النظر في المعاجم القديمة وذلك بتصحيح الأخطاء الواردة فيها، مع إهمال الغريب والحوشي، وتضييق دائرة المترادف والمشترك اللفظي و الأضداد ما أمكن(3).

3. أولا: محاولات فردية لإصلاح المعاجم القديمة: ولقد حاول الأستاذ الخوري بطرس البستاني أن يرسم الخطوط الكبرى للمعجم الذي يحتاج إليه في هذا العصر في مقدمته لمعجم الستان للشيخ عبد الله البستاني، ثم نصح مؤلفي المعجمات بحذف الأمور الأتية:

4. المهمل: قال: "على أن ما خلّفوه لنا(أي العرب) من تلك الثروة الواسعة، منه مالم يعد يصلح للاستعمال، لأن الأمة التي كانت تتداوله في الجاهلية الجهلاء، لم يمكن يقع النظر إلا عليه؛ فكانت تستخدمها في مآربها وأطوارها...أمّا اليوم فإنّ الناطقين بالضاد قد أصبحوا وأسلافهم العرب على طرفي نقيض... ولذلك بات جانب كبير من مواد هذه اللغة في حكم المهملات، وصار من الحكمة أن يبقى مخزونا في أمهات المعاجم الكبرى، ويسقط من المعاجم العصرية، ولا سيما التي تتداولها أيدي الأحداث فلكل عصر لغته، ولكل زمان بيانه وذوقه"(4).

---

(1) المعجمات العربية، ص201

(2) المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص55

(3) المعجمات العربية، ص201

(4) لشيخ البستاني، مقدمة معجم البستان، ص15

5. **المترادف** قال: "والعلماء في هذا العصر متضاربة آراؤهم في المترادف، فمنهم من يجاري القدماء في اعتباره مفخرة من مفاخر اللغة العربية ... أمّا نحن وكل من ينظر المسألة بعين مجردة؛ فإننا نميل إلى الرأي الثاني، فيما لو تجاوز الترادف الحد المعقول... ومن الغريب أنّ أكثر هذه الأسماء مهجور أو ثقيل على اللسان، ولا نعلم أي فائدة من الاحتفاظ به وادخاره في متون اللغة، كأنه من الفوائد اليتيمة"[5].

6. **المشترك:** قال: "المشترك كثير في جميع اللغات، ولاسيّما اللغات القديمة منها، وكثيرا ما يؤدي إلى الالتباس، وخصوصا عندما تكثر مدلولاته كالخال والعين... ونأمل في الزمن الذي يضيّعه المطالع في التفتيش عن المعنى الموافق للموضوع الذي يطالعه... ولذلك نسوق النصح إلى هداة اللغة، أن يقلعوا جُهدهم عن الألفاظ المشتركة في كتاباتهم، ولاسيما إذا كانت القرينة خفية المراد..."[6].

7. **الأضداد**: قال: "أي نفع من وجود هذا الباب في اللغات أية كانت فإن الوقت لأثمن من أن يضاع في البحث عن مثل هذه الأمور التافهة. واللغات إنّما وجدت للتفاهم من أيسر سبيل، لا لتعنيت وإرهاق الذّهن فيما لا جدوى من ورائه"[7].

8. **الفروق:** قال: "ما من شيء أدل على اتّساع لغة العرب وغناها من الفروق، غير أنّ ذلك وإن دلّ على دقة قصور البدوي وفسحة خاطره، فإنّه يحمل روّاد هذه اللغة على أن ينقلبوا عن موردها نافرين، ولاسيما في هذا العصر الذي ازدحمت فيه الحاجات، وضاقت وجوه الارتزاق، وأصبح الناس أميل إلى تعلم إحدى اللغات الحية في أسرع ما يمكن من الوقت"[8]

ثانيا: المآخذ على المعاجم العربية: على الرغم من الجهود المضنية التي بذلها المعجميون العرب، لم يسلم عملهم من النقد، ولم يخل من المآخذ، ولعل أهم هذه المآخذ ما يأتي:

1. أكبر عقبة تصادف الباحث في معاجمنا اللغوية عدم ترتيب المواد ترتيبا داخليا، ففيها خلط الأسماء بالأفعال، والثلاثي بالرباعي، والمجرد بالمزيد وخلط المشتقات بعضها ببعض« فربما رأيت الفعل الخماسي والسداسي قبل الثلاثي والرباعي، أو رأيت أحد عاني الفعل في أول المادة، وباقي معانيه في آخرها؛ ففي مادة(عرض) ذكر الجوهري المعارضة التي بمعنى المقابلة بعد المعارضة التي بمعنى المجانبة بثلاثة وثلاثين سطرا»[9]، وكذلك فعل الفيروزآبادي في مادة(حب)، فقد أورد في آرائها، تحابوا أي أحب بعضهم بعضا، ثم قال بعد ستة وثلاثين سطرا، والتحاب التوادّ. ومن هذا القبيل ما ورد في لسان العرب في مادة (ظفر) إذ قال: ظفَره وظفّره

---

(5) لشيخ البستاني، مقدمة معجم البستان، ص16

(6) المصدر نفسه، ص17

(7) المصدر نفسه، ص18

(8) المصدر نفسه، ص17

(9) الجاسوس على القاموس، ص10 من مقدمته

وأظفره غرز في وجهه ظفره. ثمّ ذكر بعد خمسة وثلاثين سطرا ظفر به وعليه وظفره وأظفره الله به وعليه وظفره به[10]. لذلك كان على من يريد الكشف عن كلمة أن يراجع المادة كلها من أولها إلى آخرها، ولا يكتفي بمصادفتها في مكان واحد، فربما تكرر ذكرها، ولهذا يقول أمد فارس الشدياق:« ولا جرم أنّ هذا التخليط والتشويش في ذكر الألفاظ ليذهب بصبر المطلع، ويحرمه بالفوز بالمطلوب فيعود حائرا»[11].

2. كذلك يواجه الباحث في المعاجم العربية بعدم التزامها بالمنهج الذي اختطه المؤلف لنفسه. ومن أمثلة ذلك: ما جاء في "ديوان الأدب" للفرابي من أنّه لن

يذكر في المعجم المشتقات القياسية، ومع ذلك نجد في المعجم ذكرا لفعال جمع فعل، ولفعل جمع فالعل، مثل نوم ونائم وغيب وغائب.

1. ما جاء في مقدمة لجنة " المعجم الوسيط" من أنّ المعجم قد أهمل« كثيرا من الألفاظ الحوشية الجافية، أو التي هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها، وقلة الفائدة منها، كبعض أسماء الإبل وصفاتها...» ومع ذلك فقد ورد في المعجم كلمات مثل الهصهاص بمعنى القوي من الناس أو الأسود، ومثل الهلواع الناقة السريعة الشديدة..»[12].

أ- من عيوبها كذلك وقوعها في بعض الأخطاء عند شرح المادة اللغوية. وقد ألفت الكتب قديما وحديثا في التنبيه على هذه الأخطاء، ومنها في العصر الحديث الجاموس عل القاموس لحمد فارس الشدياق، وتصحيحات لسان العرب لأحمد تيمور، كما نشرت تصحيحات للسان العرب في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بقلم الأستاذ توفيق داود قريان، وتصحيحات أخرى ل عبد السلام هارون في مجلة المجلة، وأخرى للأستاذ عبد الستار أحمد فراج في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة وغيرها[13]...

ومن أمثلة هذه الأخطاء قول الجوهري: وسالم من أسماء الرجل، ويقال للجلدة التي بين العين والأنف سالم. وقد عقب الغاني بقوله: وهذا غلط، وقد تبع خاله الفارابي في أخذه اللغة من معنى الشعر، والبيت الذي أخذه الفارابي هذا المعنى منه هو قول الشاعر:

يديرونني عن سالم وأريغه وجلدة بين العين والأنف سالم

وهذا البيت قد قاله ابن عمر في ابنه سالم. وواضح أنّ "سالم" في الشطر الثاني كما هو في الشطر الأول هو سالم ابن عمر، وقد جعله لمحبته بمنزلة جلدة بين عينيه وأنفه. ومعنى أريغه أطلبه وأريده وأميل إليه سرا[14].

ومن عيوبها شرح الكلمات شرحا معيبا مثل:

---

(10) ينظر، مقدمة البستان، ص 40

(11) الجاسوس على القاموس، ص10 من مقدمته

(12) عدنان الخطيب، ص 63، 69.67

(13) المرجع نفسه، الصفحات نفسها، وينظر حسين نصار747/2 وما بعدها.

(14) التكملة6 /22، لسان العرب، مادة (سلم)

أ- غموض العبارة، وتعريف اللفظ الغامض بلفظ غامض، كقول الفارابي: « الصدع الوعل بين الوعلين»، وهو يريد أنّه وسط منها ليس بالعظيم ولا الصغير. كنه وعل بين وعلين، كما شرحه الصحاح. وكقول الفارابي كذلك: النثور: النيلج. وقد شرحه الجوهري بقوله: وهو دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخضر.

ب- عدم الدقة في التعبير، كقول الفارابي: «القينة نية الشراب» والصواب إناء لأن القنينة مفرد لا جمع.

من يتتبع معاجم المتأخرين يجدها تعتمد إلى حد كبير على معاجم المتقدمين، سواء من ناحية المادة أو النظام. منها من يتجاوز مرحلة الاعتماد إلى مرحلة التقليد الأعمى، ومن أمثلة ذلك اتباع ابن دريد نظام التقليبات الصوتية تقليدا للخليل بن أحمد مع طرح ابن دريد للترتيب الصوتي، ونظام التقليبات لا يحقق هدفه إلا مقترنا بالترتيب الصوتي الذي يكشف عن خصائص" النسيج الصوتي" للكلمات العربية، ويميز التجمعات المسموحة والأخرى الممنوعة[15].

ت- ويفصح ابن منظور في لسان العرب أنّه نقل معجمه عن سابقيه نقلا تاما. فبعد أن يذكر التهذيب للأزهري والمحكم لابن سيدة ... يقول: «وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها ... سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب... ومثل هذا ينطبق على تهذيب اللغة والعباب والصحاح والقاموس... وغيرها»[16].

ث- ويربط بهذا المأخذ مأخذ آخر وهو وقوف المعاجم عند فترة زمنية لم يتجاوزوها وهي القرن الثاني بالنسبة لعرب الحواضر والرابع بالنسبة لعرب البوادي، مما أصاب اللغة بالجمود وعاقها عن التطور كما يذكر ذلك الدكتور احمد مختار عمر في كتابه المعاجم العربية في ضوء الدراسات المعجمية الحديثة[17].

ويعلق أحمد مختار عمر قائلا: «وخيرا فعل واضعوا المعجم الوسيط حين لم يعترفوا بانقطاع سلامة اللغة العربية عند عصر معين ولا مكان معين؛ وأثبتوا " في متن المعجم ما دعت الضرورة إلى إدخاله من الألفاظ المولدة أو المحدثة أو المعربة أو الدخيلة ألت اقرها المجمع وارتضاها الأدباء فتحرك بها ألسنتهم وجرت بها أقلامهم»[18]. وقد استشهدوا في ذلك بقرارات المجمع اللغوي التي من أهمها:

1. فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة من اشتقاق وتجوز وارتجال.
2. إطلاق القياس ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس.
3. تحرير السماع من قيود الزمان والمكان.
4. الاعتداد بالألفاظ المولدة وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء. [19].

---

(15) ينظر أمثلة أخرى في المعجم العربي، عدنان الخطيب، ص 76 وما بعدها

(16) ينظر محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية، ص 27وما بعدها

(17) احمد مختار عمر، المعاجم العربية في ضوء الدراسات المعجمية الحديثة، ص 161

(18) المصدر نفسه، ص 161

(19) مقدمة المعجم الوسيط، (ط2)، ص13، وينظر محمد أبو الفرج، ص28،29

ج- خرجت معظم المعاجم العربية عن وظيفتها حين خلط أصحابها بينها وبين الموسوعات ودوائر المعارف، ولعل قاموس المحيط للفيروز آبادي وشمس العلوم لنشوان بن سعيد من خير الأمثلة.

ثالثا: أهم المحاولات لوضع معجم حديث:

محاولات فردية وتنقسم ثلاثة أقسام:

أ - تأليف المعاجم الميسرة ب- إعادة ترتيب المعاجم القديمة ج- معاجم المستشرقين

د - محاولة المجامع اللغوية.

أ- أولا: محاولات الأفراد

1. **المعاجم الميسرة:** أولى المحاولات لتأليف معاجم ميسرة قام بعبئها اللبنانيون، وقد كان للنهضة التي هزت العالم لعربي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأدت الى انتشار المعاجم المطبوعة بين الناس[20]. وقيام بعض العلماء بنقدها[21].

وقد تصدى جمع من العلماء لوضع معاجم ميسرة ومركزة معتمدين في الترتيب الداخلي على الالفبائي وتجنبوا عيوب المعاجم القديمة، ومنهم من زود معجمه بصور ورسوم زيادة في الايضاح وقد استفاد من هذه المعاجم التلاميذ على اختلاف مستوياتهم ومن أشهر هذه المعاجم:

1. "**محيط المحيط**" لبطرس البستاني وهو اختصار لقاموس المحيط مع زيادة في الايضاح، طبع سنة1869م.
2. "**قطر المحيط**" للمؤلف السابق، وقد ذكر المؤلف سبب التأليف ليكون سهل المأخذ ليكون للطلبة مصباحا يكشف لهم عما أشكل عليهم من مفردات اللغة وهو بالنسبة لمحيط المحيط كنسبة قطر الدائرة الى محيطها.
3. "**أقرب الموارد الى فصيح العربية والشوارد**" لسعيد الخوري الشرتوني، وكانت أول طبعة في جزئين سنة 1890م، ثمّ أضاف إليه فيما بعد جزءا ثالثا يعد بمثابة الذيل، وعلى الرّغم من جهود المؤلف في تحاشي الأخطاء، إلا أنّ الشيخ أحمد رضا قد أحصى هذه الهنات في كتاب نشره في ثلاثمائة صفحة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.
4. وفي عام 1908م أخرج الأب لويس معلوف اليسوعي (ت1946م) كتابه"**المنجد**" بقصد خدمة الناشئة من الطلبة؛ ولذا جاءت مواده سهلة المأخذ لتلائم مستوى الطلبة، مع ايجاز غير مخل، أعيد طبعه عدة مرات.

---

(20) ينظر عدنان الخطيب، ص 45،46 و 50

(21) قبل صدور المعجم الوسيط صدر كتاب الشدياق الجاسوس على القاموس وذلك في عام 1881م

5. ومع ذلك لم يسلم من النقد تصدى له بض الغيورين على العربية الى أوهامه وأخطائه اللغوية والتاريخية ومن بين هؤلاء منير العماري بمقالات في مجلة المعرفة الدمشقية.

وفي عام 1956م ألحق به الأب فرديناند ثوثل اليسوعي قسما بعنوان "**المنجد في الأدب والعلوم**"[22].

6. "**البستان**" و"**فاكهة البستان**" وكلاهما لعبد الله البستاني، والثاني اختصار للأول، والأول طبع سنة1930م.

7. "**متن اللغة**" للشيخ أحمد رضا سبق الكلام عنه في المعاجم المدرسية.

8. "**الرائد**" لجبرا ن مسعود، وقد صدرت أول طبعة منه سنة1965م، وأهم ما يتميز به ترتيب الكلمات تحت حروفها المنطوقة دون تفريق بين أصلي وزائد وقد وضعه المؤلف خدمة للطلاب.

9. "**المساعد**" للأب انستاس ماري الكرملي:

2. **إعادة ترتيب المعاجم القديمة:** أو اختصارها فيدخل تحتها:

1. ترتيب "**القاموس المحيط**" للشيخ الطاهر أحمد الزاوي"، وقد رتبه على ترتيب أساس البلاغة والمصباح المنير ، وقد التزم ترتيب الكلمات تحت أوائلها دون تجريدها من الزوائد. يقول المؤلف في مقدمته: « وقد ظهر لي أنّ القاموس يكون أكثر فائدة لطلاب العلم، ويكون إقبالهم عليه أشدّ إذا أزيلت عنه هذه الصعوبة، وقدم إليهم في ثوب جديد..»[23].

2. "**المختار من صحاح اللغة**" **تأليف** الاستاذين محمد محي الدين عبد الحميد، ومحمد عبد اللطيف السبكي.

3. "**الإفصاح في فقه اللغة**" للاستاذين حسن يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي. وهو المعجم الوحيد من المعاجم الحديثة الذي اتبع نظام الموضوعات في ترتيبه ؛فهو مبني على كتاب "المخصص"لابن سيده، ويعد في جملته اختصارا له.

3.معاجم المستشرقين ومن أشهرها:

1. **محاولة "فيشر"** في معجمه "**المعجم اللغوي التاريخي**" وقد كان فيشر أحد كبار المستشرقين الألمان، وحجة في اللغات الشرقية من عربية وعبرية وسريانية وحبشية وفارسية وغيرها، وقد شغل كرسي الدراسات العربية بليبزج عام1899م[24].

وقد عنى فيشر بالمعجم العربي منذ أخريات القرن الماضي وعاش معه نحو خمسين سنة، ويظهر أنّ محاولته عمل معجم تاريخي للغة العربية قد تأثر فيها بمعجم أكسفورد التاريخي الذي نشر قبل مولده بقليل. ولقد قضى نحو أربعين سنة في جمع مادته وتنسيقها،

---

(22) ينظر عدنان الخطيب، ص 50، وعبد السميع محمد، المعاجم العربية، ص179-185

(23) ينظر مقدمة ترتيب القاموس، الصفحة "د"

(24) المجمعيون، ص145

وحين عرضها على مجمع اللغة العربية في مصر رحب بالفكرة، ووعد بأن تتحمل نفقات طبعه لكن الحرب العالمية الثانية قد اندلعت مما أضطر فيشر للرجوع الى بلده إلا أنّ المرض أقعده ثم عاجلته المنية وتوفي سنة1949م[25].

2. "**معجم لين**" لصاحبه ادوارد وليم لين، وقد ولد عام 1801م، وتوفي عام1876م، وقد اختار لقاموسه اسم "**مد القاموس**"، وهو معجم عربي انجليزي ضخم في ثمانية أجزاء، نشر خمسة أجزاء في حياة المؤلف وثلاثة بعد مماته. وهو ليس كسائر المعاجم المزدوجة اللغة تعطي الكلمة ومعناها، وإنّما هو أشبه بمعجم عربي مرفق به ترجمة لمادته باللغة الإنجليزية.

ويقول الأستاذ آربري "الرئيس السابق لقسم الدراسات االشرقية بجامعة كمبريدج": «إنّ هذا المعجم يعد أكثر خدمة قدمها أوروبي للغة العربية»[26].

أما عن مصادر لين فكانت المعجمات العربية التي ألفها العرب سواء المطبوعة منها والمخطوطة مما اتفق له الحصول عليها، واعتمد أكثر مما اعتمد على تاج العروس للزبيدي[27].

3. "**معجم دوزي**" أو "**تكملة المعاجم العربية**": وهذا المعجم في الحقيقة يعد ذيلا على المعاجم العربية، ذكر فيه ما لم يجد له ذكرا فيها. وقد طبع المعجم في مجلدين ضخمين بالعربية والفرنسية (ليدن1877- 1888م) و(ليدن –باريس1937، ثم أعادت مكتبة لبنان طبعه مصورا في بيروت 1968. وأخيرا قام بترجمة قسم كبير منه الدكتور النعيمي.

(25) ينظر مقدمة مدكور لمعجم فيشر، ص5، ومقدمة فيشر، ص21، والمجمعيون، ص145

(26) الأعلام مادة ادوارد وليم لين

(27) ينظر، دائرة المعارف البريطانية مادة (lene)، ص 19